المؤتمر العلمي الدولي

الآخر الديني في الفكر الإسلامي بين النص والتاريخ والواقع

مداخلة خاصة بمحور: الآخر الديني في الفنون والآداب العربية والإسلامية

تحت عنوان :

الآخر الديني في الرواية المغاربية المعاصرة

رواية في قلبي أنثى عبرية لخولة حمدي –أنموذجا–

الباحثة طالبة الدكتوراه: عبد المالك حنان

تخصص: نقد مغاربي معاصر

مؤسسة الانتماء: جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي– الجزائر

مخبر الانتماء: مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

رقم الهاتف: 213.6.59.45.64.81+

الايميل: abdelmalek-hanane@univ-eloued.dz

رقم الواتساب: 213.6.59.45.64.81+

الملخص:

جاءت هذه الدراسة لتوضيح مدى التعالق الديني بين الأفراد والمجتمعات، وإجابة عن كيفية تجسد الآخر الديني في الرواية المغاربية بشكل عام، وفي رواية "في قلبي أنثى عبرية" لـ"خولة حمدي" بشكل خاص، وذلك لان الأدب المغاربي قد مثل الآخر – المسلم، المسيحي،اليهودي– في مختلف الروايات الواقعية التي رسمت هوة الصدام الذي خلفه ذلك الصراع على مر الزمان، وقد تم اختيار رواية "في قلبي أنثى عبرية" كمدونة للدراسة، وذلك لما يبدو فيها من تداخل ديني تتفاعل فيه الديانات الثلاث (اليهودية، المسيحية، والإسلام) في المجتمع العربي، وتوزع "خولة حمدي" سردها الروائي عبر ثلاث أمكنة هي: تونس، لبنان وفرنسا، وترصد أحداثها من خلال صراعات اجتماعية ودينية وحضارية بثتها عبر ثلاثة أنماط لشخصيات (مسلمة، يهودية ومسيحية) وهي شخصيات رئيسية في الرواية. وقد استطاعت "خولة حمدي" أن تصور كيف تعايشت هذه الديانات معًا، كما بدت مُبشرة بالدين الإسلامي لدرجة كبيرة.

ولتوضيح الفكرة التي تريد الكاتبة إيصالها تم انتهاج المنهج الموضوعي، الذي ارتأيت أنه يخدم موضوع البحث، فقسمته إلى شقين، شق نظري وآخر تطبيقي. ابتدأت الدراسة بمقدمة ضمت حوصلة عن الموضوع واشكاليته وأهدافه، ثم عالجت في الجزء الأول مصطلحات الدراسة، حول ماهية الآخر الديني، ثم انتقلت إلى الحديث عن تمظهرات الآخر الديني في الرواية المغاربية المعاصرة على سبيل التقدمة للعرض، حين صورت مظاهر تجسد الآخر الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية" متمثلة في ديانات الإسلام، المسيحية واليهودية. وفي الأخير ختمت دراستي بحوصلة ضمت مختلف النتائج المتحصل عليها.

الكلمات المفتاحية: الآخر الديني، الرواية المغاربية، خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية

Summary

This research paper came to clarify the extent of religious interdependence between individuals and societies. And an answer to how the religious other was embodied in the Maghreb novel in general, and in the novel “In My Heart is a Hebrew Female by" Khawla Hamdi "in particular. This is because Maghreb literature in particular has represented the other - Muslim - Christian - Jew - in various realistic novels that drew the chasm of the clash that left him.” That struggle over time, and the novel “In My Heart is a Hebrew Female” was chosen as a study blog, due to its apparent religious overlap in the Arab society in which the three religions (Judaism, Christianity, and Islam) interact. "Khawla Hamdi" distributes her narrative across three places: Tunisia, Lebanon and France through social, religious and civilizational conflicts broadcast by the writer through three types of Jewish, Muslim and Christian characters, and they are main characters in the novel with spatial, historical, civilizational, religious and political dimensions."Khawla Hamdi" was able to depict how these religions coexisted together, as she seemed very promising for the Islamic religion. .

To clarify the idea that the writer wants to convey, the objective approach was adopted, which I thought served the topic of the research, so I divided it into two parts, a theoretical and an applied one. The study began with an introduction that included a summary of the topic, its problematic and objectives, then dealt in the first part the terms of the study, about the nature of the religious other, then moved to talk about the manifestations of the religious other in the contemporary Maghreb novel as a way of presentation when I portrayed the manifestations of the embodiment of the religious other in a novel in my heart is a female Hebrew is represented by the religions of Islam, Christianity and Judaism. Finally, I concluded my study with a summary of the various results obtained.

key words :religious other. Maghreb novel. Khawla Hamdi. In my heart is a Hebrew female

مقدمـــة:

يمتد الصراع الديني وصورة الآخر المغاير إلى عصور غابرة، ولطالما شكل موضوعا شائكا، وقضية حساسة في مختلف مجالات الفنون والآداب، فلم تخلو الأجناس الأدبية من إدراج هذه الإشكالية متخذة منها طابعا للتعصب والتطرف في بعض الأحيان، وفي بعضها الآخر ورد موضوعا وسطيا وما أكثر ما كتب في هذا الشأن، ولأن الرواية من أهم الفنون الأدبية، فقد حاولت بعض الروايات استكشاف الجوانب الإيجابية للآخر الديني، وأظهرت إمكانية التعامل معه واقتربت منه، من ذلك ما جاء من روايات مغاربية معاصرة، من بينها رواية "في قلبي أنثى عبرية" لـ"خولة حمدي".

وقد جاءت هذه الورقة البحثية لتوضيح مدى التعالق الديني بين الأفراد والمجتمعات، وإجابة عن كيفية تجسد الآخر الديني في الرواية المغاربية بشكل عام، وفي رواية "في قلبي أنثى عبرية" لـ"خولة حمدي" بشكل خاص. وذلك لأن الأدب المغاربي مثّل الآخر– المسلم، المسيحي، اليهودي– في مختلف الروايات الواقعية التي رسمت هوة الصدام الذي خلفه ذلك الصراع على مر الزمان. واختيارنا لمدونة الدراسة جاء لما يبدو فيها من تداخل ديني في المجتمع العربي الذي تتفاعل فيه مختلف الديانات السماوية، وهو ما سعت الكاتبة "خولة حمدي" إلى إبرازه حين حاولت استكشاف الآخر المغاير والتعامل معه، وقد استطاعت أن تصور كيف تعايشت هذه الديانات معًا.

ولتوضيح ذلك تم انتهاج المنهج الموضوعي، الذي ارتأيت أنه يخدم موضوع البحث، فقسمته إلى شقين، شق نظري وآخر تطبيقي. ابتدأت الدراسة بمقدمة ضمت حوصلة عن الموضوع واشكاليته وأهدافه، ثم عالجت في الجزء الأول مصطلحات الدراسة، حول ماهية الآخر الديني، ثم انتقلت إلى الحديث عن تمظهرات الآخر الديني في الرواية المغاربية المعاصرة على سبيل التقدمة للعرض، ثم صورت مظاهر تجسد الآخر الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية" متمثلة في ديانات الإسلام والمسيحية واليهودية. وفي الأخير ختمت دراستي بحوصلة ضمت مختلف النتائج المتحصل عليها.

1–مفهوم الآخر الديني

حتى نتمكن من الغوص في موضـــوع الآخر الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية"، كان من الواجب بداية معرفة المصطلحات النظرية للدراسة، وفي ذلك نقول أن الآخر لغة: "اسم تفضيل ممنوع من الصرف. يعرب حسب موقعه في الجملة"[1]، وهو "أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد[2]. وهذا يعني أنه يقوم على الغيرية والاختلاف.

وفيما يخص المفهوم الاصطلاحي فقد اختلفت رؤى الفلاسفة والمفكّرين حوله، وذلك تبعاً لاختلاف التيارات الفلسفية والمذاهب الفكريّة، فلم يستقر مفهوم "الآخر" عـــلى تعريف واحد منذ نشأته بدايةً من الجذور اليونانية إلى غاية العصر الحديث، ومصطلح الآخر في بداياته عند اليونانيين كان يعني كل ما ينتمي إلى هذه البيئة أو هو لفظ يطلق على غير اليوناني، سواء كانوا في الشمال أي في العمق الأوروبي أو في قارتي إفريقيا وآسيا بهدف التمييز بين اليوناني المتحضّر وغيره المتخلّف"[3] .

ويعد الآخر "الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضـــها في الآن نفســه، وهو يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهية، تبدأ من أدق الانشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات، عبر زمن شديد الضآلة، ولا ينتهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان، فالفرد يمكن أن يكون آخر حتى بالنسبة إلى نفسه قبل مدة قصيرة، ويمكن أن يتحول إلى آخر بعد مدة قصيرة أيضا. وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص آخر على وجه الأرض[4].

و"البديهي أن قبول الآخر أو رفضه ينصب على ما يجعل هذا الآخر مختلفا عن ذاك الإنسان ومغايرا له، ولا ينصب على ما يشترك فيه الاثنان، ولا يتميز به أحدهما عن الآخر، فلا ترد هنا مسألة القبول أو الرفض بل ترد هنا مسألة الآخر لأنه هو المقابل للانا، المختلف عنها بسمات وميزات جعلته بالنسبة للانا كيانا منفصلا قائما بذاته"[5].

عند الانتقال إلى تحديد مفهوم الدين نجده يأتي في مختلف المعاجم اللغوية بمعنى "الحساب، والذل، والعادة، والطاعة، والجزاء، والحال"[6]، فيما يعرف اصطلاحا بأنه: "نظام من عقائد وعبارات تربط الناس ببعضهم وتؤلف من معتنقيها أمة ذات وحدة معنوية"[7]، والدين" اسم لجميع ما يعبد به الله[8] وبالتالي فالدين هو كل ما يربط جماعة ما[9] ، وهي في هذا الارتباط تعبر عن الآخر الذي يغايرها، وبذلك فالآخر الديني فهو كل مختلف في الانتماء الديني.

2-الآخر الديني في الرواية المغاربية

تعد الرواية من أكثر الفنون قدرة على تجسيد إشكالية الأنا والآخر، "إذ تتيح الفرصة لصوت الأنا للتعبير عما يضطرم في الأعماق من مخاوف وآلام وأفكار، فتنطلق من نقد الذات والآخر معا"[10]. ويعد مسار العلاقة مع الآخر طويلا في الرواية العربية كونه "يمتد إلى الصدمة الحضارية التي نتجت عند لقاء الأنا بهذا الآخر، واكتشاف الحقيقة المرة، حيث عرى الآخر عن طريق حضارته المتفوقة الأنا أمام ذاتها"[11]. وهذا يعني أن الرواية العربية كانت منذ نشأتها الأولى تسعى إلى إبراز صور الآخر على اختلافاتها وتعددها، وذلك لاعتباره جزءا من تاريخها الواقعي، ليتحول ذلك "من سيرة التسجيل للأحداث والوقائع إلى سيرة التخييل الفني والتشويق الأدبي"[12].

وقد قطعت الرواية العربية شوطا كبيرا في وعيها للآخر، باعتبارها الجنس الأدبي الأقدر على التعبير عن العلاقات المعقدة للإنسان الحديث، سواء أكان ذلك على صعيد الذات أم على صعيد فهم الآخر والعالم، واستيعاب التحولات المتسارعة، فتحولت الرواية إلى مخبر للمخيال، تتعدد فيه الموضوعات مثل: (المنفى، الغرائبية، الخوف من الآخر...)[13].

عند تخصيص الحديث عن كيفية معالجة الرواية المغاربية لصورة الآخر بشكل عام، والآخر الديني بشكل خاص، فقد ظلت منذ بداياتها الصعبة والعسيرة تسعى في إصرار إلى تصويره، لأنه شكل جزءا مهما في كيان المجتمع المغاربي، لأن الدين كان ولا زال وسيبقى ركيزة أساسية في بناء الأفراد والمجتمعات.

وهذا يعني أن ظاهرة الصراع بين الأنا (العربي المسلم) والآخر(الغربي المسيحي) عولجت باتساع، اتساع المسافة العميقة بينهما، إذ انطلقت من صورة غالب (قوي له كل القدرات) ومغلوب (ضعيف فقد

هيبته)، هذه الوضعية أنشأت وضعا غير مستقر، ومرجعيتها التاريخية تثبت دوامها واستمراريتها لأحقاب أخرى، فالفرد المسلم يرى إلى المسيحي واليهودي معا أنهما مغضوب عليهما بعد نزول آيات تصف نواياهم وسلوكهم، فالتنافر بين الأنا والآخر قائم على أساس عقائدي[14].

وقد ظهرت على ساحة الرواية العربية المغاربية "عدة روايات تناولت الصراع الديني خاصة بعد أحداث سبتمبر 2001"[15]، سعت في رسم صورة الآخر الديني، وفي الوقت ذاته حاولت "نقد الأصولية الإسلامية في ممارساتها السياسية البعيدة عن حقيقة الدين الإسلامي، في روايات بعض الروائيين الجزائريين أمثال الطاهر وطار، وواسيني الأعرج، والحبيب السائح، مثلما ارتفع نقد الأصولية المسحية المتصهينة واليهودية الصهيونية في روايات أخرى لدى معالجة صور الآخر الغربي من خلال رؤى التاريخ والواقع المعاصر[16].

كما تمثل رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لـــ "عمارة لخوص" تجربة إبداعية مغاربية حديثة في الحوار الديني بين العرب والمســـلمين من جهة والغرب من جهة أخرى" والرواية تعاين موقف الغرب أو أوروبا أو ايطاليا من المهاجرين المسلمين والعرب وسواهم من خلال شخصية احمد سالمي (من الجزائر) الذي غادر بلاده إلى روما اثر اغتيال جماعة مســـلمة لخطيبته "بهجة"، والتهديد بقتله والتلاعب باسمه من أحمد إلى امديو من اجل قبوله في مجتمع روما الآخر[17].

وما يمكن قوله أن الروايات المغاربية جسدت الآخر الديني في كثير من المواضيع، وطرحت صورة للصراع والتعايش في الكثير من الأحيان، ولا يسعنا الحديث عن ذلك لما فيه من شرح وإطالة، غير أننا نكتفي بدراسة الآخر الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية".

3–رواية في "قلبي أنثى عبرية" لـ"خولة حمدي" بين التعايش والصراع

من أهم الروايات المغاربية المعاصرة التي جسدت مختلف صور الآخر الديني رواية "في قلبي أنثى عبرية"، للروائية التونسية خولة حمدي، وفي إطار الحديث عنها هي كاتبة تونسية ولدت في عام 1984م بالعاصمة التونسية، متحصلة على الدكتوراه في بحوث العمليات من جامعة التكنولوجيا بمدينة تروا بفرنسا. اشتغلت كأستاذة جامعية في تقنية المعلومات بجامعة الملك سعود بالرياض، متحصلة على شهادة في الهندسة الصناعية والماجستير من مدرسة "المناجم" في مدينة سانت إتيان الفرنسية[18].

حققت "خولة حمدي" نجاحات مبهرة في عالم الكتابة الأدبية، وأثبتت نفسها كروائية استثنائية، وفي فترة بسيطة، لتؤكد أنها لم تكن مجرد ظاهرة، بل كاتبة مجتهدة. فبرواياتها " في قلبي أنثى عبرية" التي حققت شهرة واسعة على مستوى الوطن العربي، وتصدرت الكتب الأعلى مبيعًا، واستطاعت أن تحجز مقاعد على

رفوف المكتبات بجانب روايات لكُتاب كبار، أحيت الرواية الشبابية، التي تمس أوجاع جيلها، وتناقش قضاياهم برصانة أدبية تطورت بشكل ملحوظ من أول عمل إلى آخر عمل، فقدمتها بمعالجات روائية لا تخلو من العلاقات الإنسانية الدافئة[19]، ولها العديد من الروايات التي رسمت صور الآخر الديني، وكان آخرها روايتي غربة الياسمين و عودة الياسمين.

أولا: تعايش الآخر الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية"

يعد مصطلح التعايش من بين المصطلحات الفلسفية التي لا تقل أهمية عن مصطلح الآخر، وهو في فحواه يعني "قبول الآخر، وهذا المعنى أي –قبول الآخر– من المعاني الواردة التي تمثل واقعا ولا تضبط أمرا حسيا، ولا ينتج عنها أي التزام أو مسؤولية شرعية كانت أم قانونية [20]، بالعودة إلى رواية "في قلبي أنثى عبرية" فهي رواية مفعمة بالشخصيات التي تعبر عن الاختلافات العقائدية والدينية، وقصة الرواية بحسب الكاتبة تنقل بحيادية قصة حقيقية" خطوطها العريضة تنتمي إلى الواقع، وشخصياتها الرئيسية كانت/مازالت أنفاسها على الأرض. لكنها لا تخلو من مسحة خيال مقصودة، إما احتراما لأسرار وخصوصيات شخصية لا يجوز كشفها، أو سدا لثغرات في القصة الحقيقية"[21].

تدور أحداثها في منطقتين؛ جزيرة جربة في تونس ومدينة قانا العتيقة في جنوب لبنان، ففي حارة اليهود في الجنوب التونسي تدور أحداث الرواية حول ريما الطفلة المسلمة اليتيمة التي تربت بين أحضان عائلة جاكوب اليهودية، والتي تبدأ أفكارها تتغير وترتدي الحجاب، فتغضب منها زوجة جاكوب وتطالب بإبعادها عن أطفالها حتى لا يتأثروا بأفكارها حول الديانة اليهودية والإسلام، فيرسلها إلى منزل أخته في لبنان، وهناك تقابل ندى بطلة الرواية.

وفي الجنوب اللبناني تتناول الرواية حياة ندى، وهي الأنثى العبرية المعنونة باسمها الرواية، والتي تنتمي للدين اليهودي اتباعًا لوالدتها رغم أن والدها مسلم ورغم أنها تربت في بيت مسيحي إثر ديانة زوج والدتها، وتتغير حياة ندى رأسًا على عقب بعد أن تقابل أحمد، الشاب المسلم الذي ينتمي لصفوف المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي في لبنان.

يخطب أحمد المسلم ندى اليهودية وسط رفض من العائلتين اللتين خضعتا في نهاية الأمر، وفي نية أحمد أن يجعلها تعتنق الدين الإسلامي، وبالفعل نجح في ذلك بمعاونة الطفلة ريما التي تستشهد نتيجة إحدى غارات قصف الطائرات الإسرائيلية.

في إطار دراستي في ما تبقى من الجزء الخاص بهذا الموضوع، والذي حاولت فيه إبراز تمثلات الآخر الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية"، يمكن القول أن الروائية "خولة حمدي" عبرت عن تعايش الأديان فيما بينها، وقد حققت المقولة القائلة بأن ما " يربط المسلمين والغرب أقوى بكثير مما يقسمهم فالمسلمون والمسيحيون واليهود جميعهم أصحاب كتب سماوية، ويؤمنون بالله ويشتركون في النظرة

الوحدانية[22]، فإذا تحدثنا عن الأديان السماوية" اليهودية والمسيحية والإسلام فإنها ديانات توحيدية أصلها واحد وتتقاسم تصورا واحد عن الله الخالق لكنها تختلف في شكل التصور الديني والطابع الرمزي الذي تصبغه على تصورها عن الذات الإلهية[23].

وقد بدأ المثقف سواء أكان مفكرا أم روائيا يرفض قمع إرادة التغيير وعرقلة أي محاولة لاختراق الحواجز العقائدية والعرقية التي تقيمها الأنا، لأن الذات الخائفة من الامحاء تزداد تقوقعا على نفسها، ورفضا للآخر، لكن المثقف الحقيقي يتجاوز هذه الرؤية المغلقة ويبتعد عن التعامل مع مكونات هويته القومية بصفتها جوهرا ما ورائيا أو عنصرا نقيا أو بنية ثابتة أو حقيقة متعالية أو شعارا مقدسا، وبذلك أخرجها من إطارها الجامد، لهذا يعد أكثر الناس وعيا بالهوية، وقدرة على تجاوز المألوف والابتكار[24]، وهو ما سعت الروائية "خولة حمدي" إلى طرحه من خلال سردها للنص الروائي، وقد وردت رؤيتها لتجسد "العلاقة بين الأنا والآخر، وترصد اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب تخييلا، وإبداعا، وتشخيصا، على مستوى العادات، والتقاليد، والأعراف، والأديان".[25]

فالروائي وهو يقدم لنا صورة الآخر–المجتمع– قد يرسمه على أنه الإنسان وفقط، بعيدا عن أصوله وانتماءاته ليكون بهذا الصديق والمساند، فتكتسب العلاقة طابع القبول والاستحسان، وقد رصدت لنا الرواية صورة رائعة من صور التسامح في العديد من المواضع منها تصوير عائلة ندى، إذ تزوجت سونيا اليهودية بجورج المسيحي وقبله بسالم المسلم فالزواج المختلط دينيا يمثل مظهرا من مظاهر التعايش الديني.

لقد رسمت خولة بريشة الفنان المبدع صورة تحاكي التعايش القائم بين مختلف الديانات، وتجسد واقع الإنسان العربي الذي يعيش على ضفاف الجانب الآخر من العالم، برزت صورة الآخر المسلم المخالف لغيره في كل مواضع الرواية: إذ ونحن نتغلغل في صميم النص السردي لها، وجدنا تمظهرا جليا لهوية الفرد المسلم، بداية بشخصية الذات الكاتبة ثم من خلال رصد بعض شخصيات الرواية المسلمة وتصويرها. وعند دراستنا لمستوى حضور الأنا في الرواية العربية نخلص إلى ما ذهب إليه محمد برادة،، حين يرى أن النصوص الروائية المعاصرة تلامس جوهر القضية الإنسانية بتركيزها على الذات، وإبراز انشغالاتها وخصوصياتها عبر الميل إلى النوع الروائي السيري الذي يضع أمام القارئ مادة تخيلية ذاتية، تصدر عن فرد ينتدبه الكاتب لترميم ذاكرته المتصدعة واستجماع شظاياها المتناثرة عبر الزمن.

وفيما يخص تمثلات التعايش مع الآخر اليهودي في الرواية، فقد ورد منذ الوهلة الأولى، إذ ونحن نتصفح العنوان نجد الكاتبة "تعمدت وضعه لإبراز مدى الحاجة إلى الحوار السلمي وإبراز البعد الإنساني الذي ترمي إليه، والذي تمارسه هي كمثقف واع وناقد لمسيرة مجتمعه...وهي دعوة صريحة من الكاتبة إلى إمكانية الحوار والتعايش السلمي بين المسلمين واليهود [26].

وعند الحديث عن تمثلات التعايش مع الآخر المسيحي، فقد حاولت الروائية العمل بمقولة "محمد الغزالي"، حين يتحدث عن الإسلام والمسيحية في قوله: "وليست هناك خصومات مسلحة بين الإسلام والمسيحية، فلسنا بمرغمي أحد على طرح ما يعتقده، ولا يجوز أن نلجأ إلى إكراه مادي أو أدبي لتحوير أتباع دين عن دينهم" [27].

ثانيا: صراع الآخر الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية"

يعد الصراع ظاهرة ذات أبعاد متناهية التعقيد، بالغة التشابك يمثل وجودها أحد معالم واقع الأفراد والمجتمعات، وجوهر الصدام والصراع بين الأديان والحضارات إنما "يكون في عدم فهم الآخر وضعف الثقة في خطابه، في معاهداته، في الصورة التي يقدمها عن نفسه وبهذا يتشكل مجال هامشي للمناورة والرصد والتوجس"[28]. فيما يعني الصراع الديني ذلك الصراع "الذي يكون فيه الدين بمثابة الأساس لطموحات سياسية لسياسة مجموعة معية[29]، على اعتبار "تاريخ عالم الغرب والمسلمين مرتبط على نحو وثيق غير أن معظم ذلك التاريخ تميز بالصراع والعداء المتبادل"[30].

وكما كان الشأن في تصوير "خولة حمدي" لمظاهر التعايش الديني الذي ساد رواية "في قلبي أنثى عبرية"، إلا أننا لا ننكر وجود صور للصراع الديني على مدار سردها للأحداث، وتتضح صورة العداوة والصراع في الرواية من خلال سمات وصفات العديد من الشخصيات المختلفة العقليات والطباع والعادات والتقاليد، وهي في ذلك "تبرر اللامساواة والاستغلال والحروب بدعوى أن كل شعب يتميز بسمات بيولوجية وعنصرية خاصة [31].

وقد بدا الصراع الديني واضحا في مختلف أطوار الرواية، ومن بين المواضع التي ورد فيها الحوار الذي دار بين الطفلة ريما المسلمة وجاكوب اليهودي وعلامات الحزن تتملكها خوفا عليه فتقول: "الشيخ يقول إن من لا يؤمن بدين الإسلام يذهب إلى النار. وأنا أحبك كثيرا ولا أريدك أن تذهب إلى النار....عبس جاكوب في انزعاج وهو يقول: من الذي قال ذلك؟ هل هو الشيخ؟ لاشك أنه رجل متعصب"[32]، ويعد رفض جاكوب للشيخ نوعا من العنصرية على اعتبارها "نزعة تجعل الإنسان الإسرائيلي يشعر بأنه جوهر غير طينة البشر جميعا، وأن هذا الجوهر ينفرد بأسرار ومواهب لا توجد في غيره[33].

تتولّد عدم القابلية للآخر لدى اليهود أو المسلمين نتاج التمسّك بروابط الدم والحفاظ على أصل العرق، والدين، وقد صورت "خولة حمدي" مختلف المواقف التي مرت خلالها خطابات التعصب بدواعي دينية، كما كان شأن زوجة جاكوب التي كانت تتشبث بدينها اليهودي معتقدة أنها كغيرها من اليهود الذين

يعتقدون "أنهم أفضل خلق الله وأنهم مخلوقون لخلاص العالم وإصلاحه، وهذا التعريف يميل إليه معظم علماء اليهود"[34].

في الجانب الآخر نجد مختلف مظاهر العنصرية تجاه المسلمين، وقد تجسدت هذه الصورة من خلال عدة شخصيات عنصرية، ومن بينها صورة للتعصب الديني الذي مثلته سونيا – والدة ندى – وهي "نفسها كانت من اليهود المتشددين الذين يطالبون بحقهم في القدس، أرض الأنبياء وبطرد الفلسطينيين منها"[35]، ثم تواصل الراوية الحديث "لكن تجربة زواجها الفاشل كانت بمثابة الصدمة، وأثر ذلك على نظرتها للأحداث التي تشهدها الساحة السياسية في السنوات الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط، فولدت لديها ضغينة تجاه المسلمين كافة"[36].

عند الحديث عن تمثلات الصراع الديني المسيحي في رواية "في قلبي أنثى عبرية"، فقد تعرضت إليه الكاتبة حين عرضت مواقف الشخصيات الدّينية المسيحيّة في الرواية بشكل مقتضب، وذلك لتفسح المجال لبروز الصّراع اليهودي الإسلامي خاصّة، وذلك على اعتبار "الإسلام نظام معاد للمسيحية[37]، "والمسيحية ليست نفيا لليهودية، فهي تحيا بالكره نفسه، والحقد نفسه، وتلاحق غاية اليهودية نفسها، ألا وهي قلب القيم الارستقراطية".[38]

فالمسيحيون يتزوجون من اليهود كما هو وارد في زواج دانا من إيميل وسونيا من جورج على عكس اليهود الذين يؤثرون حصر نسبهم في بني ديانتهم، وقد تناولت الكاتبة صورة التصادم الذي وقع في الرّغبات حول مراسم زواج دانا وإيميل، فهذا الأخير يريده بتقاليد مسيحيّة في الكنيسة، أمّا سونيا فهي تريده بترتيبات يهودية.

وما يمكن قوله أن الإنسان "يحتاج دائما إلى الآخر المختلف، فحق الاختلاف فن علينا أن نتعلم كيف نمارسه، وعندما نتعلم هذا الفن، يصبح بركة لنا إذ يخرج رأيا ثالثا أروع وأبدع، وتصبح علاقتنا من خلاله أقوى منها من دونه، بل عندما يجمعنا الحب يصبح الاختلاف نغمات متدرجة في سيمفونية مبدعة، وزهورا متناسقة في باقة رائعة، وألوان طيف متراقصة في سماء صافية"[39]، وهو ما طرحته الروائية "خولة حمدي" بأسلوب مفعم بالتصوير، مجسدا شخصية الفرد المسلم التي صورت أسمى صور التسامح ما جعل شخصيات الرواية "في قلبي أنثى عبرية" تسعى إلى التهافت إلى تبني الدين الإسلامي، لما جاء فيه من انفتاح يدعوا إلى الفهم والتفهم للآخر المغاير وذلك دون انغماس تام وتحول كلي، وما أدل على ذلك من قول الله تعالى: [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير[40]].

خاتمــة:

في ختام هذا المقال يمكننا القول أنه من الصعوبة الإتيان على موضوع الآخر الديني لما فيه من تشعب، لذلك نورد ما توصلنا إليه من نتائج:

- العلاقة الجدلية لاختلاف الدين علاقة يحكمها الواقع والتاريخ الذي يشهد بتعصب كل طرف لدينه.
- توزع "خولة حمدي" سردها الروائي في رواية "في قلبي أنثى عبرية" عبر أمكنة ثلاث: تونس ولبنان وفرنسا من خلال صراعات اجتماعية ودينية وحضارية بثتها الكاتبة عبر ثلاثة أنماط لشخصيات يهودية ومسلمة ومسيحية، وهي شخصيات رئيسية في الرواية ذات أبعاد مكانية وتاريخية وحضارية ودينية وسياسية. وقد استطاعت خولة حمدي أن تصور كيف تعايشت هذه الديانات معًا.
- النص السردي للرواية يشكل مقابلة ضدية فحواها التعايش والتعصب.
- أجادت الروائية خولة حمدي في رسم صورة التعايش بين الأديان الثلاثة الإسلام، المسيحية، اليهودية عن طريق الاطلاع على ثقافة الآخر.
- رغم أن الروائية صورت حوار الأديان وتعايشها إلا أنها في بعض الأحيان رسمت صورة تعصب كل طرف لدينه.
- وفي الأخير تبقى القضية الفلسطينية أهم القضايا التي تلم شمل الأمة على اختلاف دياناتها، كما أنها في الوقت ذاته تمثل نقطة الاختلاف، ورغم ذلك يبقى التحاور والتعايش سمة من الواجب التحلي بها.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- إبراهيم خطيب: هل نحن إمام صراع ديني؟، مجلة دنيا الوطن، ع5، ط2.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية.
- أبو الحسن علي بن الحسين الهنائي: المنجد في اللغة، تح: احمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1988م.
- إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب، م1، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان،1987م.
- جميل حمداوي : صورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، مقاربة صورولوجية، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، ط1، تطوان ، المغرب، 2000م.

- حسن شحاتة: الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2008م.
- خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية، دار كيان للنشر والتوزيع، الهرم، مصر.
- رقية العلواني وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، ط1، دمشق، 2008م.
- سعاد حرب: الأنا والآخر والجماعة دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1994م.
- سمية شنوف: تمظهر الآخر في روايات غادة السمان، مجلة إنسانيات، ع28، 2005 م.
- السيد محمد عاشور: التفرقة العنصرية، مكتبة المهتدين، القاهرة، 1986م.
- صلاح صالح: سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت لبنان، 2003م.
- صوافي بوعلام: محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد ، أطروحة دكتوراه، جامعة احمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2015/2014.
- عبد القادر شرشار: تجليات الآخر في "طيور في الظهيرة والبزاة لدى مرزاق بقطاش، ماجستير أدب عربي، جامعة السانيا، وهران، الجزائر، 2013/2012.
- عبد الله أبو سيف: صورة الآخر والحوار الحضاري في الرواية العربية، مجلة الآداب، ع10، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م.
- عبد الله بوقرن، الأخر في جدلية التاريخ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006 –2007.
- فارس بيرة: الأنا والأخر /جدل الصراع وخطب التعايش في رواية في قلبي أنثى عبرية للروائية خولة حمدي، مجلة المقال، ع8، 2019.
- ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر في السرد العربي "نماذج روائية عربية"، عالم المعرفة، ط4، الكويت، 2013م.
- محمد الغزالي: معركة المصحف في العالم الإسلامي، مكتبة رحاب، الجزائر.
- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، القاهرة، 2007م، ص315.
- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، القاهرة، 2007م.
- مصطفى السباعي: الدين والدولة، دار الورق، ط1، لبنان، 1998م.

- مصطفى حلمي: الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية، 1990م.

- https://alantologia.com/blogs/blog/4934/details
- https://ireadhub.com/%D8%AE%D9%88%D9%84%D8%A9-/%D8%AD%D9%85%D8%AF%D9%8A

---

[1] إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب، م1، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان،1987م، ص 55.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، ص08.

[3] عبد الله بوقرن،الأخر في جدلية التاريخ*أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة*، تخصص فلسفة: كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة منتوري، قسنطينة 2006 –2007،ص01.

[4] صلاح صالح: سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت لبنان، 2003م، ص10.

[5] مصطفى حلمي: الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية، 1990م، ص158.

[6] أبو الحسن علي بن الحسين الهنائي: المنجد في اللغة، تح: احمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1988م، ص 202–203.

[7] مصطفى السباعي: الدين والدولة، دار الورق، ط1، لبنان، 1998م، ص12–13.

[8] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص307.

[9] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، القاهرة، 2007م، ص315.

[10] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع 398، الكويت، مارس 2013م، ص14.

[11] صوافي بوعلام: محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد ، *أطروحة دكتوراه*، جامعة احمد بن بلة، وهران، الجزائر ، 20142015، ص07.

[12] جميل حمداوي : صورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، مقاربة صورولوجية، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، ط1، تطوان ، المغرب، 2000م، ص43.

[13] سمية شنوف: تمظهر الآخر في روايات غادة السمان، مجلة إنسانيات، ع28،، 2005 ، ص01.

[14] عبد القادر شرشار: تجليات الآخر في "طيور في الظهيرة والبزاة لدى مرزاق بقطاش، *ماجستير أدب عربي*، جامعة السانيا، وهران، الجزائر ، 2013/2012، ص16.

[15] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، ص07.

[16] عبد الله أبو سيف: صورة الآخر والحوار الحضاري في الرواية العربية، مجلة الآداب، ع10، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر ، 2009م، ص110.

[17] المرجع نفسه، ص111.

[18] https://alantologia.com/blogs/blog/4934/details

[19] https://ireadhub.com/%D8%AE%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%AD%D9%85%D8%AF%D9%8A/

[20] مصطفى حلمي: الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، ص157.

[21] خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية، دار كيان للنشر والتوزيع، الهرم، مصر ، ص07.

[22] حسن شحاتة: الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2008م، ص107.

[23] بن دنيا سعدية: حوار الأديان والحضارات والصراع على المقدس، ص44.

[24] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، ص16.

[25] جميل حمداوي : صورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، مقاربة صورولوجية، ص19.

[26] فارس بيرة: الأنا والأخر /جدل الصراع وخطب التعايش في رواية في قلبي أنثى عبرية للروائية خولة حمدي، مجلة المقال، ع8، 2019، ص ص 196،197.

[27] محمد الغزالي: معركة المصحف في العالم الإسلامي، مكتبة رحاب، الجزائر ، ص366.

[28] بن دنيا سعدية، حوار الأديان والصراع على المقدس، ص41.

[29] إبراهيم خطيب: هل نحن إمام صراع ديني؟، مجلة دنيا الوطن، ع5، ط2، ص36–37.

[30] حسن شحاتة: الذات والأخر في الشرق والغرب صور ودلالات وإشكاليات، ص107.

[31] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، القاهرة، 2007م، ص441.

[32] خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية، ص18.

[33] السيد محمد عاشور: التفرقة العنصرية، مكتبة المهتدين، القاهرة، 1986م، ص05.

[34] المرجع نفسه، ص03.

[35] خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية، ص42.

[36] المرجع نفسه، ص42.

[37] رقية العلواني وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، ط1، دمشق، 2008م، ص228.

[38] سعاد حرب: الأنا والآخر والجماعة دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1994م، ص23.

[39] رقية العلواني وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص261.

[40] سورة الحجرات، الآية 13.